(لاهوت الحرب)

أحياناً للحرب ضرورة!!

لِلْحَرْبِ وَقْتٌ وَلِلصُّلْحِ وَقْتٌ. (جا3:8)

بالطبع يعتقد العديد من المسيحيين أنه يجب تجنب الحرب إن أمكن، ولا ينبغي القيام بها إلا إذا فشلت جميع الجهود لحل الأزمات والصراعات بالوسائل والطرق السلمية، والعمل من أجل السلام الشامل. أيضاً يرى العديد من المسيحيين أن الحرب هي نتيجة الفشل في العيش وفقًا لمعايير الله وكلمته المقدسة. فالحروب هي إحدى النتائج الشريرة التي تنشأ بسبب حالة الإنسانية الساقطة.

إن أكبر سباق في الوقت الحاضر هو سباق التسليح، وأكبر المبالغ لا تُصرف على الأكل والشرب بل على صناعة السلاح. ولكن هناك وعد من الرب أن جميع الحروب والصراعات ستنتهي في وقت سيادة مُلك الرب مَلك السلام، ويصفه لنا إشعياء قائلاً: " فَيَقْضِي بَيْنَ الأُمَمِ وَيُنْصِفُ لِشُعُوبٍ كَثِيرِينَ، فَيَطْبَعُونَ سُيُوفَهُمْ سِكَكًا وَرِمَاحَهُمْ مَنَاجِلَ. لاَ تَرْفَعُ أُمَّةٌ عَلَى أُمَّةٍ سَيْفًا، وَلاَ يَتَعَلَّمُونَ الْحَرْبَ فِي مَا بَعْدُ."(إش٢:٤)

إذن كيف يمكننا أن نرد على مشكلة الحرب؟ كيف يمكن للمسيحي أن يعالج المعضلة الأخلاقية المتمثلة في مقاومة الشر؟

لاتنزعج عزيزي القارئ إن قُلت لك أننا كثيراً ما نخطئ في فهمنا للكتاب المقدس عندما يقول في الوصية "لاَ تَقْتُلْ לֹא תִרְצָח" (خر٢٠:١٣، تث٥:١٧) فنحاول تطبيق هذه الوصية على مفهوم الحرب عموماً. ولكن الكلمة العبرية المستخدمة هنا والتي تعني "تقتل תִרְצָח" تُنطق (تِرتساح)، ويحمل جزر الكلمة (רָצַח راتسَح) مفهوم القتل أو الذبح مع كل ما يرافق ذلك من وحشية. بمعنى قتل مع سبق الإصرار والترصد بمكر وخبث.

فالوصية هنا تحزر من القتل خارج المعايير الثابتة الإلهية مثل الحرب أو عقاب على جريمة بشعة.

إن حياة البشر لها قيمة فريدة في عيني الله، وبالتالي أخذ الحياة بعيداً عن المعايير المحددة من قبل الله ، يتطلب جزاء وعقاب صارم. لهذا أعطى الله للحكومات الأرضية وضع قوانيين لعقاب القاتل لتنظيم المجتمع ليعيش الناس في طاعة عدل الله. وأهم نتيجة لتلك القوانين هو اتخاذ خطوات تجاة التقليص من خطر دورة العنف الدائمة والتي لازلت إلى يومنا هذا تهدد بدمار المجتمعات الضعيفة.

ولايزال يحدث هذا في المجتمعات القبلية اليوم. فأن حادثة واحدة مثل اغتصاب امراة، يمكن أن ينتج عنها دورة من العنف تسرف عن وجود عشرات القتلى والجرحى.

ويختتم سفر العدد بملاحظة مثيرة (عد٣٥:٣٣) " لأَنَّ الدَّمَ يُدَنِّسُ الأَرْضَ. وَعَنِ الأَرْضِ لاَ يُكَفَّرُ لأَجْلِ الدَّمِ الَّذِي سُفِكَ فِيهَا، إِلاَّ بِدَمِ سَافِكِهِ."

ولأن الدم هو مصدر الحياة وهوعطية من الله فإن النجاسة التي تأتي من سفك الدماء يمكن ازالتها فقط بسفك الدماء. وكان الفشل في طاعة الوصية "لاَ تَقْتُلْ לֹא תִרְצָח" يُفسد ويدمر الأرض (حز٣٦:١٧-١٨). فإذا أصبحت الأرض وشعبها منجَّسيَن، لايمكن لله أن يظل في وسطهم. وإذا ترك الله الأرض، فلن تعُطي سخائها وخصوبتها وبركتها. فعندما قتل قاين اخيه جلب على نفسه اللعنة وعدم البركة، فقال له الرب: " صَوْتُ دَمِ أَخِيكَ

صَارِخٌ إِلَيَّ مِنَ الأَرْضِ. فَالآنَ مَلْعُونٌ أَنْتَ مِنَ الأَرْضِ الَّتِي فَتَحَتْ فَاهَا لِتَقْبَلَ دَمَ أَخِيكَ مِنْ يَدِكَ. مَتَى عَمِلْتَ الأَرْضَ لاَ تَعُودُ تُعْطِيكَ قُوَّتَهَا." (تك٤: ١٠-١٢)

وقد أمر الله بعقوبة الإعدام لعدد من الجرائم (خر ٢١: ١٢، ١٥؛ ٢٢: ١٩؛ لا ٢٠: ١١).أيضاً أمر الله شعبه أن يحاربوا الأمم الأخرى مرات عديدة (١صم ١٥: ٣؛ يش ٤: ١٣). وهذا يعني أن الله ليس ضد القتل في كل الظروف، ولكنه ضد القتل المتعمد. الحروب ليست أمراً جيداً بأي حال، والجميع يتفق على الرغبة في العيش بسلام، ولكنها أمر ضروري أحياناً. فنحن نعيش في عالم مملوء بالخطية (رو ٣: ١٠ – ١٨)، لذلك سيكون من الصعب تجنب حدوث الحروب.

وكما هو الحال مع الكثير من جوانب الحياة، هناك تناقض غريب فيما يتعلق بطبيعة الحرب وتحقيق السلام. لا أحد يرغب في الحرب، ومع ذلك في كثير من الأحيان تبدو الحرب خياراً لا مفر منه. وهكذا يواجه الإنسان بشكل عام، والمسيحي بشكل خاص، صراعات نفسية وعدم فهم واضح بسبب الغموض الأخلاقي للحرب. فمن ناحية، الحرب شر. لكن من ناحية أخرى، يمكن للحرب، أو على الأقل بعض الحروب، أن تنتج درجة معينة من الخير من خلال إحلال السلام والحفاظ على العدالة وحماية حياة الأبرياء.

فأحياناً يكون السبيل الوحيد لمنع الخطاة من إيذاء الأبرياء هو محاربتهم. فمثلا لو لم تكن الحرب العالمية الثانية سبباً لهزيمة هتلر لكان ضحاياه زادوا عدة ملايين أخرى. ولو لم تكن الحرب الأهلية الأمريكية قد حدثت لكان الأمريكيين الأفارقة قد عانوا سنوات طويلة أخرى من العبودية. ولو لم تحارب الجيوش الجماعات الإرهابية في البلاد العربية لفتك الإرهاب بالأخضر واليابس في كل المنطقة أروحاً وممتلكات.

لقد أمر الله في العهد القديم الشعب "اِنْتَقِمْ نَقْمَةً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْمِدْيَانِيِّينَ..." (عدد ٣١: ٢). ويقول سفر التثنية ٢٠: ١٦-١٧ " وَأَمَّا مُدُنُ هَؤُلاَءِ الشُّعُوبِ الَّتِي يُعْطِيكَ الرَّبُّ إِلهُكَ نَصِيباً فَلا تَسْتَبْقِ مِنْهَا نَسَمَةً مَا بَل تُحَرِّمُهَا تَحْرِيماً: الْحِثِّيِّينَ وَالأَمُورِيِّينَ وَالكَنْعَانِيِّينَ وَالفِرِزِّيِّينَ وَالحِوِّيِّينَ وَاليَبُوسِيِّينَ كَمَا أَمَرَكَ الرَّبُّ إِلهُكَ". ونقرأ أيضاً في صموئيل الأول ١٥: ١٨ " اذْهَبْ وَحَرِّمِ الْخُطَاةَ عَمَالِيقَ وَحَارِبْهُمْ حَتَّى يَفْنُوا؟" من الواضح أن الله ليس ضد كل الحروب. والرب يسوع المسيح دائماً في إتفاق كامل مع الآب، فنراه يعلن قائلاً:" أَنَا وَالآبُ وَاحِدٌ" (يو ١٠: ٣٠)، لهذا لا نستطيع أن نجادل بالقول أن الحروب كانت مشيئة الله فقط في العهد القديم. الله هو هو لا يتغير (ملا ٣: ٦) "لأَنِّي أَنَا الرَّبُّ لاَ أَتَغَيَّرُ" ، وأيضاً " الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ تَغْيِيرٌ وَلاَ ظِلُّ دَوَرَانٍ." (يعقوب ١: ١٧).

العهد الجديد يوضح لنا إن مجيء المسيح الثاني سوف يتسم بالعنف الشديد. يصف الكتاب المقدس في سفر الرؤيا ١٩: ١١-٢١ الحرب الأخيرة التي يكون فيها المسيح هو القائد المنتصر الذي يدين ويحارب بالعدل" ثُمَّ رَأَيْتُ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَإِذَا فَرَسٌ أَبْيَضُ وَالْجَالِسُ عَلَيْهِ يُدْعَى أَمِينًا وَصَادِقًا، وَبِالْعَدْلِ يَحْكُمُ وَيُحَارِبُ" (الآية ١١).

وسوف تكون معركة دامية وعنيفة " وَهُوَ مُتَسَرْبِلٌ بِثَوْبٍ مَغْمُوسٍ بِدَمٍ" (الآية ١٣).

وسوف تأكل الطيور لحم مقاوميه " فَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ قَائِلاً لِجَمِيعِ الطُّيُورِ الطَّائِرَةِ فِي وَسَطِ السَّمَاءِ:«هَلُمَّ

اجْتَمِعِي إِلَى عَشَاءِ الإِلهِ الْعَظِيمِ، لِكَيْ تَأْكُلِي لُحُومَ مُلُوكٍ، وَلُحُومَ قُوَّادٍ، وَلُحُومَ أَقْوِيَاءَ، وَلُحُومَ خَيْل وَالْجَالِسِينَ عَلَيْهَا، وَلُحُومَ الْكُلِّ: حُرًّا وَعَبْدًا، صَغِيرًا وَكَبِيرًا" (الآيات ١٧-١٨).

لن يتحنن المسيح على أعداؤه الذين سوف يتغلب عليهم بالتمام ويطرحهم في " بُحَيْرَةِ النَّارِ الْمُتَّقِدَةِ بِالْكِبْرِيتِ" (الآية ٢٠).

إذن عزيزي القارئ من الخطأ القول بأن الله لا يساند الحروب أبداً. فالرب يسوع ليس معارضاً للحرب أو العنف. ففي عالم ملآن بالأشرار يكون من الضروري اللجوء للحرب لمنع وقوع شرور أكبر.

بالطبع الحرب أمر فظيع. وبعض الحروب لها أسباب أكثر "عدلاً" عن غيرها، ولكن الحرب دائماً ما تكون نتيجة الخطية (رومية ٣: ١٠-١٨). وفي نفس الوقت يعلن الكتاب المقدس في سفر الجامعة ٣: ٨ "لِلْحُبِّ وَقْتٌ وَلِلْبُغْضَةِ وَقْتٌ. لِلْحَرْبِ وَقْتٌ وَلِلصُّلْحِ وَقْتٌ". وفي عالم مملوء بالخطية والبغضة والشر (رومية ٣: ١٠-١٨)، تصبح الحرب أمراً لا مفر منه. لا يجب أن يرغب المؤمنين المسيحيين في الحرب، ولكن في نفس الوقت عليهم ألا يعارضوا الحكومات التي منحها الله سلطاناً عليهم " لِتَخْضَعْ كُلُّ نَفْسٍ لِلسَّلاَطِينِ الْفَائِقَةِ، لأَنَّهُ لَيْسَ سُلْطَانٌ إِلاَّ مِنَ اللهِ، وَالسَّلاَطِينُ الْكَائِنَةُ هِيَ مُرَتَّبَةٌ مِنَ اللهِ،... فَإِنَّ الْحُكَّامَ لَيْسُوا خَوْفًا لِلأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بَلْ لِلشِّرِّيرَةِ. لأَنَّهُ خَادِمُ اللهِ لِلصَّلاَحِ! ....، لأَنَّهُ لاَ يَحْمِلُ السَّيْفَ عَبَثًا" (رومية ١٣: ١-٤؛ بطرس الأولى ٢: ١٧). إن أهم شيء نستطيع أن نفعله في وقت الحرب هو أن نصلي من أجل حكمة إلهية لقادتنا، ونصلي من أجل سلامة قواتنا المسلحة، ومن أجل سرعة إيجاد حلول للصراعات، كما نصلي أيضاً من أجل سلامة المدنيين من كلا الجانبين (فيلبي ٤: ٦-٧).

استمر في الصلاة من أجل السلام لمنطقتنا ولكل العالم

مراجع:

الكتاب المقدس – ترجمة الفاندايك

الكتاب المقدس العبري- ترجمة بين السطور

القاموس الموسوعي للعهد القديم المجلد السادس، ٢٣٤

الخلفية الحضارية للكتاب المقدس – العهد القديم – الجزء الأول،٢٧٨